الفصل الخامس

ثمرة الدعاء

يقول الله تعالى :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (١) .

إنه وعد من الله تعالى ، مبنى على أسس واضحة ، فإذا أقيمت هذه الأسس كانت النتائج والثمار لا تتخلف . وهذه النتائج والثمار ستبقى ما بقيت الأسس .

أما الأسس فإنها الإيمان والأعمال الصالحة ، والأعمال الصالحة المترتبة على الإيمان القرآنى كل متماسك : إنها صلاة وصيام وهى إعداد واستعداد بصورة تتناسب مع قوله تعالى :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ (٢) .

وهى خلق كريم ، نابع من مصادر الخلق الإسلامى ، وهى الكتاب والسنة القولية والعملية . إن الأعمال الصالحة استقامة فى جميع الزوايا والميادين : إنها استقامة فى العمل ، واستقامة فى العبادة ، واستقامة فى

---

(١) النور : ٥٥ .

(٢) الأنفال : ٦٠ .

السلوك ، استقامة على النهج الإسلامى فى الروح والشكل ، فى الجوهر والرسم .

فإذا ما تحقق الإيمان والأعمال الصالحة ، تحققت الثمار التى وعد الله سبحانه وتعالى بها . وأولى هذه الثمار هى الخلافة فى الأرض .

ولقد جعل الله الإنسان فى الأرض خليفة . والإنسان الذى يهيئ له الله الخلافة الحقة ، هو الإنسان المؤمن إيماناً حقيقياً ، والإيمان الحقيقى يتضمن العمل الصالح ، ولن يتأتى أن يكون العمل الصالح إلا إذا كان على أساس من العلم ، ومن أجل ذلك علم الله آدم عليه السلام الأسماء كلها قبل جعله على الأرض خليفة . ومن أجل ذلك أيضاً ، كان رسول الله ﷺ يدعو الله قائلا : رب زدنى علماً .

وسنة الله تسير على نسق مطرد ، منذ أن خلق الخلق إلى الآن ، وهو سبحانه كلما أقيمت الأسس أخذ بيد المقيمين لها ، فرفعهم إلى القمة أفراداً كانوا أو جماعات .

الثمرة الثانية التى يجنيها أصحاب الإيمان والعمل الصالح أن يمكن الله سبحانه وتعالى لهم دينهم الذى ارتضى لهم .

وإن الدين الذى رضيه الله ديناً منذ بدء الخليقة ، إنما هو الإسلام . ولقد قال الله سبحانه :

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

وقال :

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ .

وتمكن الدين معناه : الأمان على أسمى ذخيرة عند المؤمن . إنه الاطمئنان الخالى من القلق على ما هو أعز عند المؤمن من نفسه وماله .

أما الثمرة الثالثة التى يجنيها المؤمنون الصادقون فهى : أن يبدل الله خوفهم أمناً . وقلقهم اطمئناناً . وتأمل قوله تعالى فى مواقف المؤمنين الصادقين . يقول سبحانه :

﴿الذين قال لهم الناس . إن الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم﴾ [1] .

إن ثمرة الثمار ، وإن نتيجة النتائج هى ما عبر عنه سبحانه بقوله :

﴿يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾ .

وأما بعد : فإذا ما عبدوه سبحانه دون إشراك . إذا ما عبدوه فى إخلاص لا يشوبه شرك . إذا ما حققوا العبودية له سبحانه ، العبودية فى الباطن والظاهر ، فى القلب والسلوك ، فإنه سبحانه وتعالى يدخلهم فى رحمته . ويشملهم على الدوام بهدايته ونصره .

﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) آل عمران آية ١٧٣ ، ١٧٤ .